فهم الإعاقة: رحلة عبر خمسة نماذج رئيسية

مقدمة: لماذا تعتبر نماذج الإعاقة مهمة؟

إن الطريقة التي نفهم بها الإعاقة ليست ثابتة، بل هي نتاج تطور فكري ومجتمعي عميق. لفهم هذا التطور، لا بد من استيعاب "نماذج الإعاقة"، وهي تشبه "العدسات" المختلفة التي ننظر من خلالها إلى العالم؛ فكل عدسة (أو نموذج) تُشكّل طريقة إدراكنا للأشخاص ذوي الإعاقة، وكيفية معاملتهم والتفاعل معهم. في السطور التالية، سننطلق في رحلة زمنية لاستكشاف خمسة نماذج رئيسية، بدءًا من أقدم وجهات النظر وصولًا إلى الفهم الحديث القائم على الحقوق.

1- النموذج التقليدي: الإعاقة كلعنة

في النموذج التقليدي، يُنظر إلى الإعاقة على أنها نتيجة لعنة أو فعل شرير ارتكبه الشخص أو عائلته.

- **موقع "المشكلة":** تُعتبر المشكلة كامنة داخل الشخص ذي الإعاقة نفسه.
- **نظرة المجتمع للشخص:** يُنظر إلى الشخص على أنه ضحية مأساوية، ليس إنسانًا كاملًا، ويُعامل بشفقة و/أو خوف.
- **استجابة المجتمع:** يُحرم الأشخاص ذوو الإعاقة من حقوقهم الإنسانية.

لكن هذا التجاهل القائم على الخوف لم يستمر، ومع مرور الوقت، بدأ يتطور ليتحول إلى شعور بالواجب الخيري تجاه هؤلاء الأفراد، مما مهد الطريق لنموذج جديد.

2- النموذج الخيري: الإعاقة كخلل

في النموذج الخيري، يُنظر إلى الأفراد ذوي الإعاقة كأشياء تستدعي الشفقة والصدقة، فهم غير قادرين على مساعدة أنفسهم ويحتاجون إلى رعاية الآخرين.

- **موقع "المشكلة":** لا تزال المشكلة تُعتبر كامنة داخل الشخص ذي الإعاقة.
- **نظرة المجتمع للشخص:** يُنظر إلى الشخص على أنه عاجز، عديم الفائدة، وغير مساهم في المجتمع، وتُوصف احتياجاته بأنها "خاصة".
- **استجابة المجتمع:** يُعامل الشخص كموضوع للرعاية الاجتماعية، وغالبًا ما يكون غير مدرك لحقوقه.

ومع ذلك، فإن التركيز على الشفقة أبقى الأشخاص ذوي الإعاقة في دور سلبي، مما فتح الباب لظهور منظور طبي يسعى لـ "إصلاح" الفرد بدلًا من مجرد رعايته.

3- النموذج الطبي: الإعاقة كمرض

ينظر النموذج الطبي إلى الإعاقة على أنها مشكلة تخص الفرد، ناتجة عن مرض أو حالة صحية تتطلب "إصلاحًا" من قبل المهنيين الطبيين ليصبح الشخص "طبيعيًا".

- **موقع "المشكلة":** المشكلة هي الضعف نفسه، وموقعه داخل الفرد.
- **نظرة المجتمع للشخص:** يُنظر إلى الشخص كمريض يحتاج إلى علاج أو "إصلاح" لضعفه.
- **استجابة المجتمع:** يتركز الاهتمام بالكامل على توفير العلاج الطبي. وتقتصر الحقوق على الوصول إلى هذا العلاج.

أدى هذا التركيز الحصري على "إصلاح" الفرد إلى إغفال كامل للبيئة المحيطة، مما أشعل شرارة تحول ثوري في التفكير بدأ يجادل بأن المشكلة لا تكمن في الفرد، بل في المجتمع نفسه.

4- النموذج الاجتماعي: المجتمع هو المشكلة

يجادل النموذج الاجتماعي بأن الإعاقة تُخلَق بسبب فشل المجتمع في تنظيم نفسه ليلائم الاختلافات الفردية، وذلك من خلال حواجز مثل الوصم والتمييز ونقص التكييفات اللازمة.

من المهم أن ندرك أن هذا النموذج يفرق بين "الضعف" (impairment)، وهو الحالة الجسدية أو العقلية للفرد، و"الإعاقة" (disability)، التي يعتبرها نتيجة للحواجز المجتمعية. فهو لا ينكر وجود الضعف، ولكنه يصر على أن المجتمع هو الذي يحوله إلى إعاقة.

- **موقع "المشكلة":** تقع المشكلة في بنية المجتمع ومواقفه.
- **نظرة المجتمع للشخص:** يُنظر إلى الشخص كفرد لديه اختلاف، ولكن المجتمع هو الذي يعيقه بسبب الحواجز القائمة.
- **استجابة المجتمع:** تقع على عاتق المجتمع مسؤولية إزالة الحواجز لضمان تمكين الشخص من الوصول إلى حقوقه.

ومع أن هذا النموذج وضع المسؤولية على المجتمع، إلا أنه كان بحاجة إلى أساس أقوى يرسخ هذه المسؤولية في مبادئ قانونية وأخلاقية عالمية، مما أدى إلى ظهور النموذج الأحدث.

5- النموذج القائم على الحقوق: الإعاقة كقضية حقوق إنسان

يرتبط هذا النموذج ارتباطًا وثيقًا بالنموذج الاجتماعي، وينطلق من أساس حقوق الإنسان العالمية، حيث ينظر إلى الأشخاص ذوي الإعاقة كأفراد لهم الحق في الوصول إلى جميع جوانب الحياة على قدم المساواة مع الآخرين.

يحوّل هذا النموذج "مسؤولية" المجتمع (كما في النموذج الاجتماعي) إلى "واجب والتزام" قانوني، مما يجعل الدمج حقًا غير قابل للتصرف، وليس مجرد هدف مجتمعي مرغوب فيه.

- **موقع "المشكلة":** تكمن المشكلة في فشل المجتمع في ضمان الحقوق والمشاركة المتساوية.
- **نظرة المجتمع للشخص:** يُنظر إلى الشخص كعضو كامل ومتساوٍ في المجتمع، يتمتع بكرامة وحقوق أصيلة.
- **استجابة المجتمع:** على المجتمع مسؤولية قانونية وأخلاقية للتغيير وضمان تكافؤ فرص المشاركة للجميع.
- **هل يرفض هذا النموذج العلاج الطبي؟** لا، على الإطلاق. بل إنه يدمج الرعاية الطبية كحق من الحقوق، مع وضع الشخص ذي الإعاقة في صميم جميع القرارات التي تؤثر على حياته.

والآن، دعونا نلخص هذه النماذج في مقارنة سريعة لتوضيح الفروق الجوهرية بينها.

6- نظرة سريعة: التحول في وجهات النظر

النموذج	موقع المشكلة	استجابة المجتمع
التقليدي	داخل الفرد (لعنة أو خطيئة)	الخوف والشفقة؛ الحرمان من الحقوق.
الخيري	داخل الفرد (نقص أو عجز)	الرعاية والصدقة؛ التعامل مع الشخص كمفعول به.
الطبي	داخل الفرد (مرض يتطلب علاجًا)	التركيز على "الإصلاح" الطبي؛ الحقوق تقتصر على العلاج.
الاجتماعي	في المجتمع (الحواجز والمواقف)	إزالة الحواجز؛ تعديل البيئة لضمان الوصول.
القائم على الحقوق	في المجتمع (التقصير في ضمان الحقوق)	تغيير القوانين والسياسات؛ فرض المشاركة كواجب قانوني.

إن أهم فكرة يمكن استخلاصها من هذه الرحلة هي التحول الجذري في تحديد "المشكلة". فقد انتقل التركيز من النماذج التي تضع "المشكلة" داخل **الفرد** (التقليدي، الخيري، الطبي) إلى النماذج التي ترى "المشكلة" في **المجتمع** (الاجتماعي، القائم على الحقوق).

وختاما: أهمية النهج القائم على الحقوق

لقد استعرضنا رحلة الفكر الإنساني في فهم الإعاقة، من اعتبارها لعنة إلهية إلى الاعتراف بها كقضية أساسية من قضايا حقوق الإنسان. اليوم، يُعتبر النموذج القائم على الحقوق هو الإطار الحديث والمقبول عالميًا، والذي يتماشى مع المعايير الدولية مثل اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الأشخاص ذوي الإعاقة (UN CRPD).

فهم هذه النماذج ليس تمرينًا أكاديميًا، بل هو أساس لتفكيك الحواجز وخلق مجتمع عادل يرى في كل فرد قيمة أصيلة وإمكانات لا حدود لها.